كلية : الآداب

القسم او الفرع : / قسم الاجتماع

المرحلة: المرحلة الثانية

أستاذ المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

اسم المادة باللغة العربية : المجتمع العراقي

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Iraqi Society

اسم المحاضرة االثامنة باللغة العربية: الدكتور عبد الجليل الطاهر (١٩١٧ – ١٩٧١) الباحث النقلي

اسم المحاضرة الثامنة باللغة الإنكليزية : Dr. Abdul-Jalil al-Taher) is a translational researcher

محتوى المحاضرة الثامنة

الدكتور عبد الجليل الطاهر (١٩١٧ – ١٩٧١) الباحث النقلي

الرائد الثاني في علم الاجتماع في العراق هو الدكتور عبد الجليل الطاهر أحد أبناء مدينة القرنة – البصرة ، أسهم بشكل فعال في تدريس علم الاجتماع في كلية الآداب (جامعه بغداد) بعد منتصف هذا القرن وقدم العديد من الدراسات والمؤلفات والتراجم التي أسهمت في إثراء الفكر الاجتماعي والمعرفة الاجتماعية ، وعكس المرحلة الأولى من مراحل تبلور هذا العلم في العراق .

كانت بداية عطاءاته العلمية تمثل في دراسة الوحدات الاجتماعية الكبيرة كدراسة المجتمع البدوي والريفي والمديني ، لكن قبل نهاية حياته انتقل إلى تقديم دراسات وحدات صغيرة المدى ، كدراسة الشخصية العراقية ومشروع المعيشي ، ، ففي مجال دراساته عن المجتمع العراقي فقد استطعنا ان نبوبها ونصنفها كما يأتي :

١ -المجتمع البدوي في العراق .
٢ -طرق تنمية الريف العراقي .
٣ -المجتمع للديني في العراقي .
٤ - الشخصية العراقية .

١ -المجتمع البدوي : أوضح الطاهر المجتمع البدوي في العراق من خلال وصفه للنظام العشائري الذي كان سائدا فيه حيث كان وما يزال قائما على الروابط الدموية التي تكون النسيج العلائقي القرابي بين أفراد القبيل الواحد الذي بدوره حدد الحقوق والواجبات الاجتماعية الملقاة على مفردات النظام العشائري كله اجل تنظيم حياتهم الاجتماعية اليومية ضمن ضابط عشائري الذي يكون بمثابة آلية اجتماعية تساعد البدوي على تكييفه للبيئة البدوية بما فيها الإلزام والامتناع ، حيث تلزمه بقوة ان يلتزم بضمير القبيلة وأخلاقيتها وفي الوقت ذاته تمنعه من ممارسة المحرمات التي تقع الحضور عليها (كالتزاوج من قبائل معينة أو تعزله اجتماعيا او جغرافيا عن بعض الفئات الاجتماعية في قبائل معينة) هذه الآلية البدوية والعصبية ، تحدد هوية أو طابع القبائل البدوية المتضمن وحدة الدم ووحدة الأصل - النسبة ـ ووحدة العلائق الاجتماعية ونظام الأسرة الأبوي (اي النسب الأبوي والسيطرة الأبوية)) .

لكن هذا النظام العشائري لم يبق محافظا على سيادته في المجتمع البدوي بسبب السيطرة الاجنبية التي تسلطت على المجتمع العراقي . فعندما احتل المغول العراق - في أواسط القرن الثالث عشر الميلادي - أصاب المجتمع العراقي الحروب والكوارث الدامية وفقدان الأمن والاستقرار ودمرت الجداول والنواظم وهدمت الديار ، تحت هذا الاعتلال الاجتماعي أصبح النظام العشائري المنشط الوطني الوحيد للمناشط السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع العراقي يحمي مصالحه وأمواله وعرضه ،)

الأمر الذي زاد من رباط الفرد العراقي بعشيرته ونظامه وبسط ولائه وإخلاصه لها ، لأنها أصبحت القلعة الوطنية التي يحتمي بها من ظلم وجور الأجنبي م وعندما حكم العثمانيون العراق أبان المدة الواقعة بين ١٥٣٤-١٧٤٩م انتبهوا إلى سلطان النظام العشائري في المجتمع العراقي وقوة آليته التنظيمية و العصبية القبلية ، في تضامن أفراد العشيرة ، زرعوا الخصومات . بين العشائر من أجل تفرقتها وتثليم قواها وسلطانها وقد نجح العثمانيون بهذا العمل التجزيئي الذي أدى إلى تهديم الركائز الاجتماعية فظهرت كل عشيرة وكأنها إمارة مستقلة تمتع بنفوذ سياسي وجغرافي واجتماعي خاص بها مثل امارة المنفك والخزاعل وزبيد وطى وشمر (الطاهي ، أي في هذه الحقبة التاريخية لم يبق النظام العشائري نسقا موحدا للعشائر كافة إمام التسلط الاجنبي بل اصبح نسقا مجزئا تدخل الاجنبي في شؤونه فقسمه إلى انساق فرعية يستقل الواحد عن الآخر من أجل تسهيل السيطرة عليه ، لكن النظام العشائري لم ينس وجود النفوذ الاجنبي رغم تثليمه الى انساق فرعية ، بل زادت ثوراته بشكل حاد ابان حكم المماليك في المدة الواقعة بين ١٧٤٩ – ١٨٣١ م مما دفع المماليك إلى الانشغال بإخماد الثورات التي قام بها اتحاد عشائر المنتفك والخراعل في الفرات الأوسط يتضح من ذلك ان الآلية البدوية « العصبية القبلية ، منغرسة في ضمير الفرد البدوي بشكل متجذر ومرتبطة بالنسق القبلي ، على الرغم من تثليمه من النظام العشائري ، تظهر فاعليتها و ديناميتها في التضامن الداخلي عندما تواجه تسلط أجنبي يحاول السيطرة واستغلالها لصالحه) .

فاعليتها وديناميتها في التضامن الداخلي عندما تواجه تسلط اجنبي يحاول السيطرة عليها هذه الحقيقة الاجتماعية استغلتها السياسة الاستعمارية البريطانية بشكل يختلف عما

ولم تزرع استغلها حكم المماليك حيث لم تعمل (السياسة البريطانية) الى اخماد الثورات العشائرية الخلافات بين العشائر » بل عمدت نهجا جديدا وهو تعزيز وتقوية نظام (المشيخة) بعد ان دخلت بغداد عام ١٩١٨ ومنحت الشيوخ نفوذا وسلطانا قويا من أجل السيطرة على : افراد القبائل والعشائر بوساطة

تقريبهم ومنحهم الاراضي والمكائن والمـالة والنفوذ ـ المحدود ـ وبذا تسهل على السياسة البريطانية السيطرة على المجتمع البدوي في العراق والمحافظة على المصالح البريطانية وحماية مؤخرة الجيش البريطاني

وبهذه الطريقة استمال الانكليز الشيوخ لجـانبهم مستخدمين سياسة الاغراء والتلويح بالأراضي والمكائن والتهديد بانتزاع الاراضي من المعارضين ، فظهر الشيوخ على المسرح السياسي حاملين معهم انساقهم الفرعية المتنازعة وولاءهم المصلحي للنظام الملكي .. اما الانساق الفرعية المعارضة للتسلط الاجنبي فقد انتزعت منها الاراضي وحرمت منها املاكها والتمثيل في الجالس العشائرية .

وحصيلة القول ، ان النظام العشائري تحول بسبب السيطرة الاجنبية ال أنساق فرعية متخاصمة ومتنازعة بعد ما كانت متكافلة ومتضامنة ، ثم تحول كل نسق إلى مواقع سلطوية مستغلة الألية البدوية و العصبية القبلية الأداء السيطرة على النسق المرعي القبلي والاثراء على حساب قوى افراده ، وبالوقت ذاته تسخير هذه المواقع السلطوية القبلية من قبل الحكم الملكي من أجل السيطرة على افراد قبائلهم . هذا من جانب ومن جانب آخر فقد حدد الطاهر حدود المجتمع البدوي في المناطق الآتية :

- عشيرة الشفير : تقطن الجنوبي العربي من العراق
- عشيرة عنزة : تقطن سهوب الشامية
- عشيرة شمر : تقطن أراضي الجزيرة العليا

أما المستوى الحضاري لهذه العشائر فيخضع لدرجة توطنها وتطور الزراعة فيها واستخدامها لوسائل الري وزراعة المحاصيل مثل التبغ والقمح والخضراوات وأشجار الفاكهة والنخيل والارز .